



طفلاً كنت حينما سمعت رجلاً من أصدقاء أبي يقول: "جعلنا لكل شيء سبباً"، وينسب النص للقرآن الكريم، وسارعت دون مقدمات بالقول: إن هذا ليس قرآنًا، فحرّك الرجل رأسه قائلاً: إن الجيل الجديد لا يريد أن يبقى شيئاً مكانه حتى القرآن!

لكل شيء سبب، والله قبل الأسباب ومعها وبعدها وإن شاء عطل السبب، وإن شاء أعطى بلا أسباب وبلا حساب!
لا تعتمد على الجدار فإنه ينهار، ولا تعتمد على المخلوق فإنه يموت.

التوكل يعني أن تعظم ثقتك بالله، وأن تنظر إلى الخلق على أنهم أدوات أو وسائل لإنفاذ القدر.
يعني طمأنينة القلب بموعد الله مهما كانت المعطيات القائمة لا تشير إلى ذلك بوضوح.

يعني التبرؤ من الحول والقوة إلا بالله، وما لديك من طاقات ومواهب ومنح فهي فضله الذي ابتلاك به لينظر كيف تعمل؟
التوكل هو سبب الأسباب وسر نجاحها.

التوكل يسكن في القلب الرضا بالقدر، والقبول بالنتيجة ولو كانت على غير ما أحب وأهوى.
التوكل يعني الإيمان الواحد الذي لا يتغير ولا يتغير، ويحدث من لطفه ما لم يكن في الحساب.

التوكل يصل الروح بالله المدبر فوق سماواته، والذي قد يعطي بصورة المنع، وقد يمنع في صورة العطاء.
التوكل ليس قعوداً ولا جبرية ولا هروبياً من الواقع، وليس كما قال أحدهم:

لَا تُدْبِرْ لَكَ أَمْرًا * فَأَوْلَاهُ التَّدْبِيرُ هُلْكٌ**
سَلَمَ الْأَمْرُ تَجَدَنَا * نَحْنُ أَوْلَى بِكِ مِنْكَا**

كلا؛ بل البداية منك فعلاً ومسارعةً وسبقاً ومبادرةً ومدافعاً وتقرأً وداعاً وسيراً، وهو معنى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)، ثم بعده تكون الاستعانة وطلب المدد والعون (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، ومن ذلك (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (60:غافر)، (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ {10})

التوكيل جزء من جوهر الإيمان والإسلام؛ (وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمٍ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ {84}) (يونس).

التفات القلب إلى الأسباب حجاب عن رب الأرباب! ثم سبب متىقн كالأكل والشرب لدفع العطش والجوع، وسبب غير متيقن كتعاطي الدواء، وسبب وهمى لا يسنده عقل ولا نقل ولا تجربة؛ كالتشاؤم والتطير.

التوكيل يورث الاعتزاز بالله؛ (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {49}) (الأنفال)، فهو الرزاق، والشافى الكافي، والمحيى، والناصر، والحافظ، والرافع الخافض (كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَاءٍ {29}) (الرحمن).

التوكيل يساعد على تعاطي الأسباب بحماس وإصرار وتكرار، ولكن بهدوء نفس وسکينة، فهو دواء حاسم للقلق والخوف من النتائج والضغوط النفسية المدمرة.

التوكيل يعزز الأمل حتى في الظروف الصعبة؛ لأنه يربط القلب بالله القادر الذي لا يعجز، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، الحي الذي لا يموت، الحكيم الذي لا يقع في كونه وخلقـه عبثـ، العالم الذي لا تخفي عليه خافية، ولذا كان قرینـ الربيوبـية؛ (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا {9}) (المزمـل).

لا تتوكـل على الفـقراء، وكلـ البشر كذلكـ، مـهما مـروا بـحـالة اـنتـشـاء وـتضـخم فـهم ضـعـافـ، ولو أـخلـصـوا لـكـ فـربـما أـرادـوا أـنـ يـنـفـعـوكـ، وـأنـ يـحـسـنـوا، وـهمـ لاـ يـدـرـكـونـ المـصالـحـ عـلـىـ حـقـيقـتهاـ، وـلـوـ عـلـمـوـنـ الغـيـبـ، وـلـوـ عـلـمـوـنـ الـغـيـبـ لـاستـكـثـرـواـ مـنـ الـخـيـرـ وـمـاـ مـسـهـمـ السـوـءـ فـيـ أـنـفـسـهـمـ، وـهـمـ يـمـرـضـونـ، وـيـمـوتـونـ، وـيـفـشـلـونـ، وـيـخـفـقـونـ، وـيـكـثـيـرونـ، وـيـتـضـجـرونـ، وـيـتـغـيـرونـ، وـيـنـشـغـلـونـ، وـيـمـنـونـ!

لا توكل إلا بـصـبرـ لاـ يـعـجلـ وـلـاـ يـتـذـمـرـ وـلـاـ يـسـوـءـ ظـنـهـ بـرـبـهـ مـهـماـ تـراـكـمـتـ الـمـشـكـلـاتـ وـادـلـهـمـتـ الـخـطـوبـ؛ (الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ {42}) (الـنـحـلـ).

كلـما ضـافتـ عـلـيـكـ فـرـدـ: (حـسـبـنـاـ اللـهـ وـتـعـمـ الـوـكـيلـ {173}) (آلـ عمرـانـ)، الـكـلمـةـ الـتـيـ قـالـهـاـ إـبـرـاهـيمـ الـخـلـيلـ حـينـ أـلـقـيـ فـيـ النـارـ فـصـارتـ عـلـيـهـ بـرـداـ وـسـلـاماـ، قـلـهاـ لـتـكـونـ نـيـرـانـ الـمـحـنـةـ عـلـيـكـ جـنـةـ مـنـ الرـضاـ وـالـعـيـمـ.

الـكـلمـةـ الـتـيـ قـالـهـاـ مـحـمـدـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - وـأـصـحـابـهـ حـينـ قـيـلـ لـهـمـ: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمـانـاـ وـقـالـوـاـ حـسـبـنـاـ اللـهـ وـتـعـمـ الـوـكـيلـ {173}) (آلـ عمرـانـ).

قلـهاـ كـلـماـ تـعـاظـمـتـ الـمـعـوقـاتـ وـالـأـخـطـارـ فـيـ طـرـيـقـ لـتـنـقـلـ بـنـعـمـةـ مـنـ اللـهـ وـفـضـلـ لـاـ يـمـسـكـ سـوـءـ.

حـسـبـنـاـ اللـهـ وـتـعـمـ الـوـكـيلـ.